سورة الحشر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾

سَبَّحَ لله: نزهه ومجده تعالى ودل عليه.

الَّذِينَ كَفَرُوا: هم يهود بني النضير قرب المدينة.

لأَوَّلِ الحَشْرِ: في أول إخراج وإجلاء إلى الشام.

في شرقي المدينة،كانت هناك مساكن يهود بني النضير،وقد كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد أبرموه عقب قدومه إلى المدينة،مؤداه : أن يقفوا منه على الحياد،لا له ولا عليه، ولكنهم لم يفوا بهذا العهد ، وما زالوا يغدرون بأهل الإسلام كلما سنحت لهم الفرصة ، إلى أن هيّأ الله - جل شأنه-في أوائل السنة الرابعة من الهجرة النبوية ظروفاً مكنت المسلمين من إرغامهم على الجلاء عن المدينة .

فكان منهم من سار إلى خيبر وأقام بها ، بينما ارتحل الباقون إلى منطقة أذرعات ، بيد أنهم لم يزالوا على عهدهم بالدسّ والوقيعة بين الناس ، حتى تم طردهم نهائياً ، مع سائر القبائل اليهودية من جزيرة العرب في زمن الخليفة الثاني عمر الفاروق ﷺ ،

فتوجهوا بعدئذٍ إلى بلاد الشام واستوطنوها .

وقوله : ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ﴾ يشرحه الفقرة التالية :

﴿ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ ... فقد قاموا باتخاذ كل ما يلزم من العدة والعتاد والمؤن والتحصينات الخارجية، إلا أن الجيش الإسلامي لم يكد يزحف نحو مساكنهم ويضرب الحصار من حولها ، حتى تسربت موجة من الانهزامية إلى نفوسهم ، وفقدوا روح المقاومة ، مما اضطرهم بالتالي إلى التسليم دون حربٍ أو قتالٍ !!

﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾

فَأَتَاهُمُ الله: فأتاهم أمره وعقابه.

لَمْ يَحْتَسِبُوا: لم يظنوا ولم يخطر لهم ببال.

وَقَذَفَ: ألقى وأنزل إنزالا شديداً

الجَلاءَ: الخروج من الوطن بالأهل والولد.

شَاقُّوا: عادوا وعصوا وحادوا.

لِّينَةٍ: نخلة ، أو نخلة كريمة .

عَلَى أُصُولِهَا: على سوقها.

إن العقوبة التي أنزلت بيهود الجزيرة العربية ، كانت بموجب القانون الإلهي ،

وهذه العقوبة مقدرة على كل أولئك الذين يقفون من الرسول موقف المعارض ، كما أن ما جرى أثناء حصار بني النضير من قطع بعض الأشجار من نخيلهم وتحريقها لمصلحة حربية ، كان هو الآخر تبعاً لأمرٍ من الله مباشرٍ ، ولكن هذا ليس بالمبدأ العام، وإنما هو حكم استثنائي يتم تنفيذه في صورة أو أخرى بالنسبة إلى معاصري الرسول !.

﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾

وَمَا أَفَاءَ الله: وما رد وما أعاد.

فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ: فما أجريتم على تحصيله.

رِكَابٍ: ما يركب من الإبل خاصة.

دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ: ملكا متداولاً بينهم خاصة.

ما يحصل للمسلمين من أموال العدو بعد الحرب والقتال يسمى غنيمةً ، وما يحصل لهم من مال العدو بدون حرب أو قتال يسمى فيئاً ، والغنائم تُوزع أربعة أخماسها على رجال الجيش ، وأما الفيء فهو ملك خالص للحكومة الإسلامية تصرفها في وجوه الخير والمصالح العامة .

إن الإسلام يريد ألا يكون المال محصوراً في طبقة بعينها بحيث يحرم منه الآخرون كلياً، بل يجب أن يصل إلى طبقات المجتمع كافةً، ولتحقيق هذا الغرض لم يلجأ الإسلام إلى سياسة القسر والإجبار، وإنما شرع من القوانين الاقتصادية الحكيمة ما يتكفل بعدم تكدّس الأموال وصيرورتها حكراً على طبقةٍ دون أخرى، ويضمن تداولها المستمر بين الجميع!!

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠ ﴾

تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ: توطنوا المدينة وأخلصوا الإيمان.

حَاجَةً: حزازة وحسداً.

خَصَاصَةٌ: فقر واحتياج.

وَمَن يُوقَ: من يجنب ويكف.

شُحَّ نَفْسِهِ: بخلها مع الحرص على المنع.

غِلاًّ: حقداً وبغضاً وغشاً.

لقد كان المهاجرون الذين قدموا المدينة فراراً بدينهم من كفار قريش تاركين ديارهم وأموالهم بمكة، كانوا "كلاً" أو "عالةً" على الأنصار (سكان المدينة الأصليين)، ولكنهم استقبلوا إخوانهم في الدين أولئك، بمنتهى الحفاوة وبأحسن ما يكون من

الترحاب، ولما استولى النبي ﷺ على أموال بني النضير قسمها على المهاجرين وحدهم، (ما عدا رجلين من الأنصار كانا يعانيان من الفقر والحاجة وهما سهل بن حنيف وأبو دجانة بن سماك)، وقد رضي الأنصار بهذا التقسيم عن طيب نفسٍ)، ولم يظهر منهم أي تذمر أو استياء، ولقد ظلت قلوبهم تفيض بمشاعر الحب والتقدير للمهاجرين، وألسنتهم تدعو لهم بأفضل الدعوات. إن هذه الروح العالية من المروءة والإيثار والكرم هي التي تؤهل جماعةً ما لتكون صانعة التاريخ!

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

عندما أعلن رسول الله ﷺ جلاء بني النضير عن المدينة توجه إليهم المنافقون قائلين: اثبتوا، ولا تبرحوا مكانكم، وإن كان ثمة قتال، فسنقف إلى جانبكم وننصركم بكل ما نملك من العدد والسلاح، غير أن أقوال المنافقين هذه إنما كانت لتحريض بني النضير ضد المسلمين، إذْ لم يكونوا صادقين مطلقاً فيما قالوا لهم ولا مخلصين فيما وعدوهم به من النصر والمساعدة، ومن هنا فلما زحف المسلمون نحوهم وضيقوا عليهم الخناق بحصارهم الذي دام بضعاً وعشرين ليلةً، لم يتقدم أحد من المنافقين ليقف إلى جانبهم أو يقاتل دونهم، وهذه هي الأخلاقيات المميزة لعبيد المصالح والمنافع في كل زمانٍ ومكانٍ.

﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ

تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾

بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ: قتالهم فيما بينهم.

وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى: متفرقة لتعاديهم.

إن قوة الله لا تُرى ظاهراً، بينما قوة البشر يراها الجميع رأي العين، مما يجعل عبدة الظواهر والمظاهر يعيشون في غير خوف ولا رهبةٍ من الله، ولكن سرعان ما يدب الخوف والذعر في قلوبهم إذا ما وجدوا أنفسهم في مواجهة أحد الأقوياء الأشداء من البشر، وكونهم يفتقرون إلى الوعي والشعور فيما يتعلق بجلال الله وعظمته يفقدهم الوعي والشعور حتى فيما يتعلق بأمور دنياهم !!

والذين يجتمعون على هدف سلبي؛ بحيث يكون هذا الهدف السلبي هو وحده أساس ما يُرى بين صفوفهم من اتحاد وائتلافٍ،فإنهم قلما يتمكنون من الإبقاء على الوحدة القائمة فيما بينهم إلى أمد طويلٍ؛ ذلك لأن الاتحاد الحقيقي الدائم يتطلب أساساً إيجابياً، وهو ما لا يوجد عندهم البتة.

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

وَبَالَ أَمْرِهِمْ: سوء عاقبة كفرهم.

كان المنافقون في المدينة يحرضون بني النضير ضد المسلمين ويغرونهم بالمقاومة، وفاتهم أن يتعلموا درساً من الواقع أن قريشاً ويهود بني النضير قد قاموا بشن الهجوم المشترك عليهم في قريب الماضي، ولكنهم باؤوا بالهزيمة النكراء، وهكذا يكون دائماً

حال أولئك الذين يتخذون من الشيطان مستشاراً لهم ويتبعون خطواته ، حيث إنهم لا يعتبرون بالأحداث أي اعتبارٍ ، فهم يعملون أول الأمر على إغراء الناس بالممارسات الإجرامية في حماس بالغ ، ثم إذا رأوا نهايتها البائسة الوبيلة ، بدؤوا في محاولة تبرئة أنفسهم من تبعتها ، ولكن محاولاتٍ كهذه لن تنجي أصحابها من بطش الله - عز وجل!!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ ﴾

نَسُوا الله: لم يراعوا أوامره ونواهيه.

فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ: فلم يقدموا لها ما ينفعها عنده.

إن الحياة الإنسانية مقسومة بين "اليوم" و"الغد" . والعالم الراهن هو يوم الإنسان الحاضر ، وعالم الآخر هو غده المرتقب ، وكل ما يفعله الإنسان من خير أو شر خلال حياته الراهنة سيلاقي جزاءه الوفاق حتماً في حياته القادمة الأبقى والأوسع مدىً .

وتلك الحقيقة الكبرى في هذا الوجود ، والإسلام هو الاسم الآخر لهذه الحقيقة ذاتها، ونجاح الإنسان في أن يأخذ هذه الحقيقة في الحسبان في غدوه ورواحه ويضعها نصب عينيه دائماً ، فإن من يغفل عنها سارت حياته كلها في اتجاه خاطئٍ ، ولا فرق في هذا الخصوص بين المسلم وغير المسلم ، فلن يحصل المسلمون من فوائد هذه الحقيقة العظيمة على شيءٍ إلا إذا كانوا متمسكين بها في واقع حياتهم ، وأما لو نسيها المسلمون أو غفلوا عنها فإنهم سينتهون بدورهم إلى المصير البائس المشئوم نفسه ، الذي قد انتهى

إليه اليهود من قبل لما أصيبوا بالغفلة والنسيان !!

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾

خَاشِعاً: ذليلاً.

مُّتَصَدِّعاً: متشققاً.

المَلِكُ: المالك لكل شيء المتصرف فيه.

القُدُّوسُ: البليغ في النزاهة عن النقائص.

السَّلامُ: ذو السلامة من كل عيب ونقص.

المُؤْمِنُ: المصدق لرسله بالمعجزات.

المُهَيْمِنُ: الرقيب على كل شيء.

العَزِيزُ: القوي الغالب.

الجَبَّارُ: القهار أو العظيم.

المُتَكَبِّرُ: البليغ الكبرياء والعظمة.

البَارِئُ: المبدع المخترع.

obeikandl.com

المُصَوِّرُ: خالق الصور على ما يريد.

الأَسْمَاءُ الحُسْنَى: الدالة على محاسن المعاني.

القرآن إعلان بحقيقة عظيمة هي أن الإنسان ليس حراً طليقاً من أية قيود أو التزامات في هذه الحياة ، بل هو مسئول عن كل أعماله وأقواله بين يدي الله الذي لا إله إلا هو ، والذي هو ذو قوةٍ وجبروتٍ لا يحيط بها الوصف ، وهو مطلع بذاته على كل ما يصدر من الإنسان في الظلام أو النور ، وهذا النبأ عظيم وشديد الوطأة لدرجة أنه يكفي لهز الجبال الراسيات ، ولكن الإنسان قد يبلغ من الغفلة وتحجّر القلب وموات الإحساس إلى أنه لا يتنبّه ولا يقلق باله رغم استماعه المكرر إلى هذا النبأ الرهيب المزلزِل!

وأسماء الله الحسنى التي ورد ذكرها هنا هي من جهةٍ تعرفنا بالله تعالى، ومن جهة أخرى تدلنا على مدى عظمة الله الذي هو خالق كل شيءٍ، وهو خالق الناس أجمعين، والذي يراقبهم من فوقهم كل حين وآنٍ، ولو أدرك المرء هذا الواقع حقاً، لاستغرق كيانه كله في حمد الله وتسبيحه .

وإن الكون بما يكمن وراء ظواهره من حكمة ومعنى وروعة إبداعية هو مرآة لصفات الله - عز وجل -. وإنه من خلال انشغاله بكل موجوداته في الحمد والتسبيح ليدعو الإنسان أيضاً إلى الانسجام والتجاوب معه، حتى لا يكون كالنغمة النشاز في هذه الترنيمة الكونية للتحميد والتسبيح الإلهي !!